أنقذوا لغتنا العربية!

تبتذل اللغة العربية في الحياة العامة ابتذالاً مهيناً، في الكلام المقول والكلام المكتوب، وتخلي مكانها أحياناً للهجات العامية السقيمة، و«ترصعها» كثيراً اغاليط النحو والصرف، ودع عنك انها تجافى البلاغة والبيان كل مجافاة.

وهذه الظاهرة التي نأنسها في حياة العامة، تعود بأصولها إلى المدرسة حيث تدرس اللغة العربية ثم يتراخى الاهتمام باللغة، حتى في الكليات التي تقوم أصلاً على اللغة وآدابها.

السؤال هو: هل العلة في اللغة نفسها، أم في نظم تعليمها، أم مردودة إلى القيمين على تعليمها، وهم المدرّسون الذين نيطت بهم هذه المهمة؟.

وإذا عُرف مكمن العلة، فهل من سبيل إلى معالجتها على نحو تتراءى آثاره في الحياة العامة قولاً وكتابة؟.

ننفي عن اللغة العربية نفسها كل علة مزعومة أو عيب مرصود. فلغتنا غنية بمفرداتها والفاظها، سخية بآدابها وتراثها، بحر في قواعدها ونحوها، وهي لغة أسلست قيادها على الدهر لأسباب التطور والنماء، وصمدت لكل محاولة اريد بها النيل منها والقضاء عليها، وهي لغة اتسعت ألفاظها للعلوم والحضارات، ومرنت تركيباتها للخيالات والأوهام، بل للرموز والاحاجي، وصلحت لكل أنواع التداول والتفاهم، ولم تضق بها وسائل الطباعة أو فنون الخط والكتابة، وافردت لها عشرات من المعاجم التي اجتهد واضعوها ومنهم الأجانب في رصد ألفاظها ومعانيها واشتقاقاتها ومصادرها. فاللغة العربية اذاً محيط شاسع عميق القرار، ولا يضيره ان يعجز السابحون عن عبوره، وهي لغة معطرة باريج آدابها وفنونها.

مثل هذه اللغة المترامية الآفاق الرحبة الجنبات، لا يعاب عليها نكوص ابنائها عن استيعابها والإلمام بها، أو قعود ذويها عن الحفاوة بتراثها القديم والجديد، وانما كل العيب مسنود إلى اولئك الأبناء الذين اعطوا زمام هذه اللغة العظيمة بأمجادها، فاهملوا امرها وتخاذلوا عن دراستها والعناية بها. وشأنهم في هذا شأن الذين ورثوا قصراً باذخاً، فهجروه إلى سكنى كوخ مهيض، فبقي القصر يطاول الزمن، وناء الكوخ بوطأة الأيام.

فلم لا يتحركون فيما كثرة من الفرنجة لا يزالون يستشرقون ويتبحرون في الضاد وينشرون كثيراً من كنوزها المخطوطة والمطمورة، ولما ينفضوا اليدين لأي سبب من الأسباب!؟.

د. جهاد نعمان

استاذ في المعهد العالي للدكتوراه